الفصل الثالث
(بعد السقوط بساعة)

لم يكن يدرك أن شعور الإنتهاء من الخطيئة سيئا إلي هذا الحد، كان يشعر أن الله يراقبه من السماء وحده، يعلم ان الله يراقب كل البشر ولكنه يشعر الأن أنه قد أختصه بالنظر وينظر له بشكل غاضب جدا، من داخله يشعر بالضيق الشديد وكأن روحه تكاد تخرج من صدره، قدماه متثاقلة وعقله مشتت.

لا يستطيع إعادة عقارب الساعة للوراء بالتاكيد ولا تحويل مجري الزمن، هذا ليس حلما من أحلامه الشهوانية التي سيستيقظ منها بدون أي وزر ، يعرف ان كل ما حدث قد حدث فعلا وليس خيالا، صدق من قال ان لذة الطاعة تبقي ويذهب تعبها ولذة المعصية تذهب ويبقي وزرها، ولكنه لم يستمتع، هل يخفف هذا من ذنبه أمام الله، إنه لم يشعر بالمتعة .. يعرف أن الذنوب درجات فمنها اللمم وهو صغار الذنوب ومنها الكبائر وهي عظائم الخطايا ومنها السبع الموبقات ومنها ما بين ذلك.

ويعرف أيضا أنه هناك علي الله ما هو أشد من الذنب، الفرج بعمل الذنب أشد علي الله من الذنب نفسه، والحزن لعدم فعل الذنب أشد علي الله من الذنب نفسه

هو لم يكن فرحا او سعيدا ولا حتي منتشيا أثناء فعل الخطيئة، فكر في نفسه ما المسوغ الشرعي الأن الذي عليه فعله للتوبة وأستحضر دروس التوبة التي سمعها

من شيخه، عليه الحزن علي فعل المعصية وها قد فعل وعليه ان يقسم بعدم فعلها مرة أخري ولذا توقف وهمس لنفسه" لن المس أي إمرأة بعد ذلك قط" وعليه الإقلاع عن الذنوب الشبيهة

شعر أن الأمر سهلا في البداية ولكنه للتأكيد عاد إلي كتاب في مكتبته عن العبادات والمعاملات وقرأ عن شروط قبول التوبة، هو أن يتوقف العبد عن الذنب وعدم فعله مرة اخري، إذن الأمر مرهون بالوقت ومرتهن به هو، لو عاد للذنب فهذا يعني أن توبته لم تقبل ولو لم يعد فهذا معناه أن توبته وعودته إلي الله لم تقبل

حاول ان يبحث علي الانترنت عن أي قصة من قصص الصالحين تشير إلي أن أحدهم قد ارتكب خطيئة الزنا وغفر له فلم يجد، شعر بالحزن الشديد، قام بالدخول إلي الحمام وتنصل من ملابسه كلها وهو يضعها في سلة القمامة ،هذه ثياب شهدت خطيئته ولا يريدها مرة اخري، قام بالاستحمام بالماء البارد الذي يكرهه وكأنه يعاقب جسده الأثم في كل جزء إستمتع بها مع المرأة ، تحت الماء بدأ في البكاء بكي الرجل الكبير ، حاول أن يستحضر دموعه كلها علها تغسل ذنبه مع الله، كان يعلم ان حال العباد بينهم وبين الله أن بعضهم مكتوب من أهل الجنة والأخر مكتوب من أهل النار وكان دائم الشك قبل تلك الساعة في أي كتاب سجل إسمه، الأن بات علي يقين أن أسمه قد كتب في اهل النار فإن لم يكن ما فعله من عمل أهل النار فما عملهم إذن ؟

إغتسل كما لم يغتسل من قبل وحرص علي تطهير جسده عدة مرات، كان يحلو له مسح تاريخ بحثه المقزز علي الانترنت من تاريخ المواقع الاباحية ولكنه في قرارة نفسه يعلم انه لا يملك زرار مسح لما كتبته الملائكة من ذنوبه، هو الأن يمر بنفس المنعطف، يغسل جسده من أثار الخطيئة فمن الذي يغسل صحيفته من الخطيئة نفسها ،جفف من نفسه وإرتدي ثيابا نظيفة تماما تأكد من أنه لم يعصي الله بها من قبل.

قام بالوضوء وأسبغه بشده ثم إفترش سجادة الصلاة ، قام بالتكبير للصلاة ثم توقف وسلم عن يمينه ويساره، تذكر شيئا ما، ذهب الي سلة القمامة التي ترك بها ثيابه وقام بإخراجها مرة أخري وبدل ملابس الطاعة التي اختارها بملابس المعصية.

حاول ان يسبغ علي تصرفه معني روحيا أنه سيرضي الله ويطيعه بنفس الثياب التي عصاه فيها وفي نفس المكان حتي تشهد له تلك الثياب ويشهد له المكان علي الطاعة، كان يعلم أن المكان يشهد علي الشخص يوم الحساب بما فعل .

يقولون دائما أن أصعب الحرام أوله ثم يسهل ثم يستساغ ثم يؤلف ثم يحلو ثم يطبع علي القلب ثم يبحث القلب عن حرام أخر جديد

هو لازال في المرحلة الأولي او هكذا يظن ، عليه التوقف الأن ، كبر للصلاة مرة أخري ثم قام بالصلاة، حرص علي قراءة أيات من القران فيها إستعطاف لله بالرحمة وجعل صوته فيها شجيا وكأنه يعني طلب الصفح والمغفرة، طاوعته عيناه فبكي

بشدة ، قام بالصلاة خير قيام علي كل اركانها وطقوسها وخشعت جوارحه لصوته واحساسه العميق.

يدرك ان لديه فرصة جديدة، علي الأقل لم يمت أثناء ممارسته الرذيلة ويختم له بسوء الخاتمة حتي ينال سوء العاقبة كذلك، لازال هناك فرصة ان ينجو.

كان يعلم أنه محصن وأن عقابه في ديانته هي الرجم حتي الموت، شعر بالقشريرة تجتاحه بعد اداء الصلاة حينما تذكر تلك العقوبة، الرجم والموت لهذه الخطيئة معناه ان الله يبغضها بشدة ولذلك لم يجعل عقوبتها جلدا او حتي تعذيرا، هو يتساوي بالمشرك والكافر في العقوبة.

حاول أن يبرر لنفسه ان زوجته ليست في متناول يده وانه مغترب وهي علي بعد الاف الأميال وبالتالي يكون في حكم الزاني غير المحصن اي الذي بدون زواج وأقصي عقوبة له هي الجلد، ولكن حجته وان كانت هونت قليلا من تأثره لم تنطلي عليه وبالتأكيد لن يقبلها الله

شعر بأن عليه أن يفعل الكثير حتي يغفر الله له، ربما عليه حفر الف بئر وإطعام ملايين الجوعي ، عليه حماية الفلاحين من برد الشتاء وربما فك اسر الغارمين، ماذا عن الإستغفار؟ ماذا عن القيام ؟ تري هل يستيطع القيام بكل تلك االكفارات التي تستغرق اعواما حتي يكفر عن لذة عشر دقائق فقط وهو في النهاية لم يستمتع

ولكنه لم يرد التهوين من الذنب حيث انه يعلم ان الأمر ليس بصغر المعصية بل بعظمة من تم عصيانه، وكذلك ان الذنب إذا تهاون في نظر المخلوق عظم في نظر

الخالق والعكس صحيح ، هنا من وسط الظلام في قلبه اتته عبارة شيخه التي طالما سمعها منه " لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار" إذن عليه الإستغفار الكثير لساعات وأيام وأسابيع حتي يشعر ان الله قد غفر له

عاد إلي فراشه ، تطلع إلي أثار المعركة الحامية التي دارت بينه وبين (ريناتا) عليه، يشعر بأنه يود لو أحرق الفراش ولكن لابأس لينام عليه ويستغفر ، فعلها عدة مرات علي الفراش ، يتقلب ويطلب المغفرة ، وكأنه يحاول تطهيره في طقوس صوفية يشك أن تفلح.

الأمر بالنسبة له مقلق ، هل يكون حسن الظن بالله ويعتقد ان الاستغفار كافي لمحو أثار هذا الذنب أم لا يأمن مكر الله ويفعل ما هو أكثر.

وماذا لو لم يغفر الله له، إن الله غير مرغم ولا مكره علي المغفرة لعباده، أنت نفسك لو خلقت شيئا ولم تعجبك ستحطمه ولن يمنعك أحد، ماذا سيفعل حينها ؟

المشكلة انه لا يستطيع ان يستكين لهاجس عدم المغفرة ، لو ظن كل انسان عاصي انه لن يغفر له لتحولت البشرية الي غابة ، تخيل من قتل نفسا ويعلم انه ليس له من توبة ، سيذهب ليقتل ثانية وثالثة ورابعة ولن يستطيعون الإحصاء من ورائه أو علي أضعف تقدير سيقتل نفسه تحت وطأة الكآبة واليأس.

شعر بالارتباك، يدرك الأن شعور الشخص بعد قيامه بشيء لا يغتفر، أخذ يتخيل ماذا لو سار الأمر معه بشكل كارثي مثلا، ماذا لو مات بين أحضان تلك الفتاة وبعث علي هذه الحالة إلي ربه، كانت ستتركه عاريا تماما في هيئه المزرية تلك

وسيجده الجيران بعد أن يتغيبوه لفترة وستعلم زوجته بما كان عليه ولن تحتاج الي الكثير من الذكاء لتقدر من أنه كان بصحبة إمراة ، ستصب جام غضبها ولكنه لن يراه ولكنه يعلم أن هذا الحديث عن الزوج والأب الخائن سيصل الي جميع من يعرفهم، حتي الخطاة أنفسهم سيلوكون سيرته مثل العلك قبل أن يبصقوه وقد استنفذوا كل جهدهم.

ماذا لو حدث العكس ؟ ماذا لو ماتت الفتاة في فراشه ؟ ما الذي كان سيفعله حينها في تلك المصيبة الكبري؟ هل كان سيتصل بالشرطة وينتظر التحقيقات والفضيحة؟ أم كان سيهرب الي بلاده في اول طائرة ويظل مطاردا بشبهة جريمة قتل ؟ أم كان سيحملها دون ان يراه اه ويلقيها خلف البناية وكأنه لا يعرفها ؟

أغمض عينيه ممتضعا ومشمئزا من كل الخيارات التي طافت بعقله.

هو يعيش حياة غير متسقة مع نفسه ولذلك اي شيء غير طبيعي سيؤدي وجوده إلي نتائج كارثية في حياته، رغما عنه طاف خياله إلي حيث هي زوجته الأن، تري ماذا تفعل (شهيدة) الأن؟ منذ ان تشاجرا وهو لم يتصل بها، تراها الأن تستمع إلي فيلما هنديا علي شاشة التلفاز بعد نهار شاق بالمستشفي.

لكن لماذا يعتقد هذا ؟

هو لا يجلس ليقرأ كتابا الأن بل خرج من أتون علاقة حميمية قذرة مع فتاة لا يعرفها، ما الذي يدعوه للظن أن (شهيدة) الأن لا تغتسل من أثار معركة مماثلة مع رجل غريب.

هز رأسه وهو يضرب بيده علي جبهته محاولا طرد ذلك الخاطر من عقله ولكنه الأفكار السوداء هاجمته كغربان رأت شيئا لامعا، نعم ما الذي يدعوه أن (شهيدة) ستحفظ عهود الزوجية إن هو لم يحفظها ؟

(شهيدة) مسلمة وهو أيضا مسلم ولم يمنعه دينه من فعل ذلك، هي طبيبة وهو كذلك، هي من أسرة ملتزمة وتؤدي العبادات في وقتها وهو كذلك، هي ليس لديها مكان لممارسة الرذيلة ولكن هل يظن أن ذلك سيمنعها، يمكنها أن تذهب للرجل أو يلتقيا في مكان ما.

هي لن تفعلها لأنها تحبه وهو كذلك لا يكرهها، حسنا هي لن تفعلها لأنها (شهيدة) لأنها أرقي وأكثر تهذبا واحتراما ومن بيت أصيل ولن تشين أباها او أخوتها أو أبنائها.

ولكنه فعل وما أدراه أنها لم تفعل.

وحتي لو كانت لم تفعل حتي الأن ، فما الضمان له أنها لن تفعلها في المستقبل، يعلم العبارة الشهيرة أعمل ما شئت كما تدين تدان، هو فعل وهي ستفعل إن لم يكن اليوم ربما غدا، الفارق أنه فعل ودفع مالا ولم يستمتع وربما هي تفعل ولا تدفع مالا وتستمتع أكثر.

شعر بأنه يود أن يتقيأ فذهب للحمام بسرعة وأفرغ ما في جوفه قبل ان يجلس علي أرضية الحمام الباردة يلتقط شتات نفسه المبعثرة.

شعر بأنه صغيرا جدا في نظر الله ونظر نفسه، هو الطبيب والابن والأب والأخ والصديق والباكستاني المثالي أصبح عارا علي كل ما يحمل اسمه.

شعر أن (شهيدة) أفضل منه بكثير وانه يود ان يصالحها ويعتذر منها، رفع سماعة الهاتف ، أرسل لها رسالة قصيرة بها كلمتان (أحبك ، وأسف) مرت ساعة من الصمت قبل أن يشعر بها تتصل به ، لم يتصور أنها كانت مستيقظة في ذلك التوقيت ، ربما استيقظت لشأن ما وقرأت الرسالة، تري هل كانت بصحبة شخص ما وأبقاها مستيقظة، طرد الخاطر المخجل من عقله وهو يجيبها، القي عليها التحية، شعر بصوتها الحنون يغسله من الداخل، أعتذر منها فأخبرته انها هي من يجب ان تعتذر وانها اشتاقت له كثيرا، بالغ في اظهار إعتذاره وكانه يقل لها انه ارتكب شيئا شنيعا وهي أفضل منه بكثير، بعد حديث طويل وعدها أن يجعل حياتهما أفضل واخبرها أن القادم أجمل

شعر بالراحة قليلا بعد ان تصالح مع زوجته، شعر انه يقيم جدار التزامه الذي انهار مرة واحدة وهذه أول لبنة به ، لقد استمر البناء السابق عشر سنوات قبل أن ينهار ولا يدري كم سيستمر هذا البناء الجديد من سنين أم إن كان سينجح في بنائه من الأساس ؟

ضبط منبهه علي الساعة الخامسة، لم يكن مواظبا علي صلاة الفجر ولكنه شعر أنه عليه الإسيقاظ للصلاة تلك الليلة، كان يفصله عن الموعد ثلاث ساعات، لا تكفي للنوم ولكنه اعتبر أن الأمر إختبار لقبول الله له مرة أخري

إن استيقظ في الموعد هذا معناه ان الله قد قبل عودته وأحب لقائه.

إن فاتته الصلاة ولم يستيقظ هذا معناه ان الله غاضب منه بشده ولا يرغب في لقائه ضبط المنبه.

ثم تولي علي فراشه وتوسد يمناه ونام.

سيري الأن أمره مع الله

ولعله خيرا